جوانب من مقاومة قبيلة آيت حكم للاحتلال الفرنسي

ياسين القادري، مولود عشاق
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية – جامعة ابن طفيل – القنيطرة – المملكة المغربية
E-mail :yassin.kadirix38@gmail.com

الملخص

تكمن أهمية البحث من خلال الموضوع الذي يتناوله، ويهدف البحث الى إبراز الأصل الاجتماعي لقبيلة آيث حكم، ودورها في المقاومة المسلحة المغربية للمستعمر الفرنسي، وتم تقسيم البحث إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة، وتضمنت المقدمة، أهداف البحث، وأهميته ومشكلته، والمنهجية المتبعة فيه، وهيكلة البحث.

جاء المبحث الأول تحت عنوان: المعطيات الجينيالوجية والاجتماعية لقبيلة آيث حكم، فيما جاء المبحث الثاني تحت عنوان: محاولات الجيش الفرنسي لتهدئة الأطلس المتوسط ورد فعل قبيلة آيت حكم (تيداس) تجاه المحتل الفرنسي.

الكلمات المفتاحية: المقاومة ـ الاستعمار الفرنسي -بلاد آيت حكم ـ المغرب -معركة طويجين.

Aspects of Ait Hakem Tribe's Resistance to the French Occupation

Abstract

The importance of the research lies in the topic it deals with. The research aims to highlight the social origin of the Ait Hakem tribe and its role in the Moroccan armed resistance to the French colonialists. The research was divided into an introduction, two sections, and a conclusion. The introduction included the objectives of the research, its importance and problem, the methodology followed, and the structure of the research.

The first section came under the title "The genetic and social data of Ait Hakem tribe" while the second section came under the title "The attempts of the French army to calm the Middle Atlas and the reaction of Ait Hakem tribe (Tiddas) towards the French occupier".

Keywords: *Resistance - French colonialism - Country of Ait Hakem - Morocco - Battle of Touidjine.*

مقدمة

تعرضت قبيلة آيث حكم للسيطرة الاستعمارية كباقي التجمعات القبلية بالمغرب إبان الحماية الفرنسية، وكانت آيث حكم من ضمن القبائل التي بادرت إلى رفض الوجود الفرنسي بالمنطقة، تعتبر جبال الأطلس المتوسط بالمغرب مجال مهم للاحتلال الفرنسي ، و ذلك بهدف ربط شرق المغرب بغربه ، بين عواصم المغرب التقليدية ، خاصة فاس و مراكش و مكناس، تواجدت فرنسا بقبيلة آيت حكم (تيداس[1]) بتاريخ 9 مارس 1912، بعد معركتها في تافوداي[2] ، وتواجدها بجبل الحديد[3] بتاريخ 10 مارس 1912، قبل اصطدامها بقبائل آيت حكم في معركة طويجين[4] بتاريخ 2 ماي 1912، وكانت بداية فصول مقاومة آيث حكم للاحتلال الفرنسي بالمنطقة، لتليها معارك أخرى خاصة معركة 6 دجنبر 1912 .

أهمية البحث وأهدافه:

- بيان أصول قبيلة آيث حكم الصنهاجية الأمازيغية، وجرد بعض المعلومات الاجتماعية الخاصة بها.
- توضيح بعض أسباب الغزو الاستعماري الفرنسي للمغرب، وسياسة فرنسا تجاه القبائل الرافضة للوجود الاستعماري.
- توجيه الأنظار الى عينة قبلية (آيث حكم) ساهمت في مواجهة المحتل الفرنسي للمغرب ودورها في تسطير تفاصل ملحمة معركة طويجين.
- المساهمة في إغناء البحث العلمي التاريخي بتفاصيل أحد فصول المواجهة المسلحة المغربية الفرنسية في فترة الحماية الفرنسية على المغرب.

مشكلة البحث: تتجلى مشكلة البحث في محاولة الإجابة عن التساؤل الرئيسي التالي:

ما هي ظروف وتفاصيل مواجهة قبيلة "آيث حكم" للمستعمر الفرنسي؟ وتتوارد مجموعة من الأسئلة الخاصة بالموضوع.

الدراسات السابقة:

وردت بعض تفاصيل المواجهة المسلحة ضمن تقارير من طرف شاهد عيان ومشارك في الأحداث بصفته مجند فرنسي، أورد التفاصيل بنظرة استعمارية للحدث، ولا توجد أي دراسة علمية ساهمت في تسطير منحنيات الأحداث، وانطلقت هذه الدراسة من مبدأ سد الثغرات وملأ تجاويف الفراغات الخاصة بالموضوع، وتسليط الضوء ولو نسبيا على قبيلة مقاومة، حملت السلاح رفضا للاستعمار والاستعباد.

المنهجية المستخدمة:

استخدم في هذه الورقة البحثية، منهج البحث الوصفي وبعض معالم التحليل الاستقرائي، كما تم الاعتماد على الضوابط العلمية المتعارف عليها في توثيق المعلومات الواردة في البحث، سواء كانت من مرجع مغربي أو أجنبي، والحرص على تنوع المراجع، والتركيز على وحدة الموضوع.

هيكلة البحث: فرضت طبيعة البحث هذا التقسيم إلى: مقدمة ومبحثين وخاتمة، وكانت هيكلة البحث على النحو التالي:

المقدمة: تضمنت أهمية البحث، وأهدافه، ومشكلته، والمنهجية المستخدمة فيه.

المبحث الأول: المعطيات الجينيالوجية والاجتماعية لقبيلة آيت حكم.

المبحث الثاني: محاولات الجيش الفرنسي لتهدئة الأطلس المتوسط ورد فعل قبيلة آيت حكم (تيداس) تجاه المحتل الفرنسي.

الخاتمة: تضمنت أهم النتائج، وتم تذييل البحث بفهرس لأهم المراجع المعتمدة.

المبحث الأول: المعطيات الجينيالوجية والاجتماعية لقبيلة آيت حكم

1-1: أصول آيت حكم الجينيالوجية (العرقية)

رصدت المصادر التاريخية الأصول الجينيالوجية لقبيلة آيت حكم، حيث أوردت المؤشرات والإيماءات عن جذمة القبيلة التي تعود لأصول صنهاجية، حيث أرجع النسابون أصل قبيلة آيت حكم لصنهاجة الصحراء قبل الزحف الإسلامي، ومواطنهم بأرض فزان من صحراء ليبيا، و بالضبط تنتمي لقبيلة جدالة الصنهاجية، و إن لف الغموض هذا الانتماء الأخير، فالراجح أنها تمت بصلة النسب لترغة (تاركة) الصنهاجية التي تستوطن بمنطقة فزان، و مهما كان الأصل الإثنوغرافي للقبيلة، فقد رصدت المصادر التاريخية وجود القبيلة بمعية قبائل صنهاجية أخرى خاصة قبلية زمور في منطقة سجلماسة في القرن 11 م ، أثناء بداية حكم الدولة المرابطية، و اندمجت بعد ذلك في أحلاف قبلية تبعا للظروف الاقتصادية و الاجتماعية لاتحادية آيت اومالو الصنهاجية ، بفروعها الكبرى (زيان و بني مكيلد و آيت سغروشن....) و التي تنازعت على المجالات الحيوية مع الوافدين العرب، خاصة عرب الخلط و معقل و سفيان، و رسم هذا الصراع الخريطة القبلية للمغرب الأقصى ما بين القرنين 16 و 17م ، و استقرار قبائل صنهاجة بالأطلسين الكبير و المتوسط و الزحف في اتجاه الشمال و الشمال الغربي، و لم يحد من تنقلاتها إلا سلسلة القلاع و الحصون التي قام السلطان مولاي

[1] تيداس، مركز يقع على الطريق الثانوية رقم 209، الرابطة ما بين تيفلت (مع الخميسات) وألماس عبر المعازيز . وهو يحتل موضعاً متضرساً على هضبة بلاد زمور العليا، ذات طابع جبلي ومؤهلات رعي ،زراعية، يفوق ارتفاعها 500 م استقرت فيها قبيلتان : بني حكم وحودران المنتميتان، حاليا، للإقليم الإداري للخميسات دائرة اولماس، ولقد اختارت السلطات العسكرية الاستعمارية هذا الموضع بالذات - كموضع حصين دفاعي لكونه عبارة عن تل مرتفع (527 م) لإنشاء ثكنة عسكرية في نوفمبر 1912، وذلك بعدما تبين لها أن الثكنات الأخرى غير كافية لمراقبة مجموع قبائل زمور وهكذا كانت أولى وظيفة المركز الوظيفة العسكرية التي أتاحت له ازدهاراً نسبياً في العشرينات وبعد الاستقلال أصبح يعيش تدريجيا حالة هي ركود. - حنيني محمد. (1415هـ/1995م).تيداس.معلمة المغرب.(الجزء الثامن.ص 2656 – 2657). مطابع سلا. الجمعية المغربية لتأليف والنشر.

[2] تافودايت هذه هي هضبة من هضاب الأطلس الواقعة بجنوب قبيلة أيت اورييل. كانت تكسوها الغابات وتتخللها شعاب ومغاور وعرة المسالك كانت تقع في وسط أسفلها قصبة تدعى (قصبة جريرة). ولعلها من القصبات التي كان أقامها السلطان المقدس مولاي إسماعيل.... و معنى كلمة (تافودايت) : الركبة أو المرتفق . فالذي يصل ويصعد الى قمة تافودايت يصبح مشرفا على جميع أراضي زمور كروان و أيت ادراسن، و كانت دائما ملجأ للمقاومة و حصنا لقبيلة أيت أورييل هذه كلما ألجأتهم الظروف الى الثورة أو التمرد و العصيان. - بوبية، أحمد. (2003). قبائل زمور والحركة الوطنية: مذكرات سي أحمد بوبية. (ط 1). مطبعة النجاح الجديدة - الدار البيضاء: منشورات كلية الآداب بالرباط.

[3] منطقة جبلية توجد جنوب تيداس يصل ارتفاعها 837 متر، عرفت بوجود معدن الحديد.

[4] منطقة سهلية يصل ارتفاعها ما بين 365 الى 327 متر، تتموقع شمال تيداس.

أسماعيل بتشييدها، التي أسهمت إلى حد بعيد في كبح جماح بشكل مؤقت ، حيث التحركات الصنهاجية نحو الشمال و في اتجاه السهول و لو ستستقر آيت حكم في القرن 18م على عهد السلطان مولاي عبد الله بن إسماعيل بمنطقة منت[5] بأكلموس، لتتعرض فيما بعد لضغط من طرف قبيلة بني مكيلد و منافسة من زيان لتتجه صوب منابع وادي أبي رقراق خاصة على الضفة اليمنى بعد صراع مع قبيلة زعير، لتستقر فوق أعالي هضبة زمور بين قبيلة زيان جنوبا و قبائل زمور شمالا و شرقا (آيت ايكو) و غربا زعير ، و في أواخر القرن 19م ، بدأت تنضاف إلى القبيلة عناصر عربية لجأت إليها لأسباب اقتصادية و أمنية، كآيت بوحقي المنحدرين من بني خيران و الشرفاء المليانيين، بالإضافة إلى عناصر من شرفاء الريصاني الأمرانيين الذين استقر بهم الحال ضمن فخذات آيت علا آيت حكم .

1-2 : مكونات قبيلة آيت حكم الاجتماعية

وتتكون القبيلة من عدة افخاذ(إسون) استقرت بالمنطقة تبعا لسيرورتها التاريخية ونموها الديموغرافي وتوزعت بالشكل التالي:

ثاقبيلت	أسون	ثامازيرث
آيت حكم	آيث علا	حرشة- بوملال - دخمو سيدي موسى - بوشهرين - مسرمان - الشرفة - جنان طوير - الرصيفة - الفيرمة
	آيث امحمد	تيغزة – امنغلاز (أراضي آيت بوزيت)
	آيث بوكيمال	تابحرارت - كطوان - المصابن - طويجين -
	بني زوليت	اقباشن اركدي - حنصالة - بير الشارف - زناطة - الحدادة - عمرونة - سيدي لحسن - أركدي
	آيث بابود	الحروش - كرظ ايغصان -
	آيت بومكسة	الريستو - بوطويل - الحروش - كليميس - أمجاجيط (آيت العنزي)
	امشيشيتة	بئر ايزم - كودية بوسكرى - جنان العبيد - خلوطة
	آيث زاغو	بوشان - بير ازم - بير الزيراوي - ثالات اوذاين(شعبة اليهود) ثانا نمغارث (ضاية العجوزة) سيدي المشهور - سيدي بوقنادل - ثالات بوشعيب - بويفيغراون (صاحب الأفاعي)
	بني عطة	جبل الحديد - طويجين - الحروش
آيت بوحقي	الكيكن آيت محمد	الكيكن - الغيشة

خريطة قبيلة آيث حكم

تنتظم قبيلة آيت حكم في إطار بنية قبلية ، يحكمها الجانب الجينيالوجي و البيئي و التاريخي و تجاذبات الصراع على المجال الحيوي مع قبائل لها قوة ديموغرافية ، تراوح الصراع بين الاستقرار و الطرد و النزوح ، مما جعل من الانصهار القبلي أمرا حتميا للدفاع عن الوجود و توسيع الحدود ، و كما سبق الذكر فإن آيت حكم لازمت قبيلة زمور في حلها و ترحالها و صراعاتها في تحالف فرضته القرابة الدموية و الرغبة في الحماية و التوسع في المجالات الخصبة ، باعتبار آيت حكم قبيلة رعوية و شبه رعوية، فرض هذا النمط المعاشي توازنات علائقية بين المجال و الإنسان ، و قد تنوع المجال التضاريسي الحكماوي بين الهضبة و السهل (أزغار)

[5] تعرف قصبة (مركز عسكري) منت عند جيرانها ب "اغرم اقديم"، وتقع بعد حوالي 6 كلم من مركز اكلموس، في الطريق الجهوية نحو ولماس، على ارتفاع 1280 متر عن سطح البحر، شيدت على خط التماس بين زيان و القبائل المجاورة (أنظر التباعي جواد: آيت حركات أكلموس مساهمة في دراسة تاريخ و تراث و مقاومة - قبائل أزغار إزيان خلال القرنين 19 و 20م)

والجبل (عاري) ، ونباتيا بين الأحراش و الغابات، وهيدروغرافيا بين الأودية (اغزران) والسلان (اسافن) تنتمي لحوض أبي رقراق والمنابع والعيون، مما خلق انسجاما بين المجال و الأنسان في آيت حكم ، و أتيحت فرصة الانتجاع القبلي بين الجبل والسهل والهضبة.

استقرت آيت حكم بمنطقة تيداس، ولعبت دورا في تاريخ المغرب خاصة مع ظهور الدولة العلوية، ومشاركتها الى جانب قبيلة زمور في أحداث تاريخية نسجت بها صفحات العلاقة بين القبائل الأطلسية و المخزن العلوي، الذي عمل على جمع قبيلة آيت حكم وزمور، كدعامات مخزنية تحت قيادة مشتركة تزعمتها عائلة بايشي القبلي، ومحمد بلغازي الزموري، مما جعل القبيلة تتعرض لتأثيرات اجتماعية ، خاصة بحكم القرب الإثنوغرافي و الجغرافي مع قبائل آيت ومالو و زيان بالتحديد، و قبلية زمور بحكم الأخوة والقرب الجغرافي، وهو تفاعل بشري متجانس إلى حد بعيد، إذا أخذنا بعين الاعتبار الأصل الصنهاجي الامازيغي لآيت حكم.

المبحث الثاني: محاولات الجيش الفرنسي لتهدئة الأطلس المتوسط ورد فعل قبيلة آيت حكم (تيداس) تجاه المحتل الفرنسي.

1-1: محاولات تهدئة الجيش الفرنسي للأطلس المتوسط

منذ دخول فرنسا للمغرب، وخاصة بعد توقيع معاهدة الحماية في 30 مارس 1912م، دخلت في مشروع إخضاع قبائل الأطلس المتوسط ، بعد توقيع المعاهدة خرجت قبائل المنطقة عن سلطة المخزن المركزي وانخراطها في حركة المقاومة المسلحة ضد الوجود الفرنسي، هذا الأخير الذي دخل في تجاذبات عسكرية ، رامت فرنسا من خلالها إلى تحقيق ما جاء في معاهدة الحماية، التي لا يمكن تنزيلها في أرض الواقع، ما دامت القبائل القوية والمحاربة خارج عن سلطة الحكومة المركزية وقادرة على تهديد أمن البلاد ، و الإخلال بالتوازن (اوغيستين،2016،86) و ما يبرر أيضا استعمال فرنسا للقوة العسكرية في مواجهة قبائل الأطلس ، هو أن القانون السائد عند هذه القبائل هو قانون الأقوى، و القوة هي اللغة الوحيدة التي يفهمها البربر (الأمازيغ) و القادرة على اخضاعهم للسلطة الفرنسية، وكان المغرب في هذه الفترة ، أي بين 1900 و 1912 ، يعرف تجذرا لمجموعة من المصاعب الاقتصادية و الاضطرابات الاجتماعية و المشاكل السياسية، و تكمن المشاكل الاقتصادية في ثقل فاتورة الديون الخارجية(عشاق،2020،23)، و صعوبات ضريبة الترتيب و توالي سنوات الجفاف، مما أدى الى وقوع مجاعات و تفشي الأوبئة ، و اضطرابات اجتماعية ، كانعدام الأمن و ثورة القبائل، انعكس على الوضع السياسي ، بانتفاضة الجيلالي الزرهوني (المدعو بوحمارة) و تبيعات مقررات مؤتمر الجزيرة الخضراء سنة 1906م ، و سطوة الظاهرة القيدية التي فاقت قدرة المخزن العزيزي على احتوائها ، بالإضافة إلى صراع أبناء الحسن الأول على الحكم و كل هذه الظروف ساهمت في تعميق جراح القابلية للاستعمار في جسد الأمة المغربية .

والأطلس المتوسط لم يكن بمنأى عن هذه الاضطرابات، بل كان في عمقها ، حيث بادرت قبائل الأطلس إلى حمل السلاح ضد الوجود الفرنسي ، منذ الشروع في التهدئة التي هدفت فرنسا من خلالها تأمين الطريق الرابط بين الرباط ومكناس وفاس، ولن يتأتى هذا إلا بإخضاع قبائل الجبال الذين سيسطرون ملاحم بطولية في مواجهة المستعمر الفرنسي بالسلاح، ومن ضمنها قبيلة آيت حكم التي تتموقع بين قبائل معروفة بشراستها كزيان وزمور، وتتموضع في ثنايا تضاريسية تخلط بين الجبال الوعرة والشديدة الانحدار وهضاب وسهول ممتنعة بخطورتها الهيدروغرافية ، عنصر بشري انسجم مع هذا المجال ، فاكتسب الشراسة من الطبيعة ، وبين وجود قبيلة آيت حكم في أراضي صعبة تمرست فيها على القتال و الصراع على المجال ضد قبائل لا تقل بأسا عنها ، و هي زيان جنوبا و زعير غربا و في أوقات ما بني احسن شمالا، فكان المجال و الإنسان في آيت حكم حاضنة لبطولات سطرتها المقاومة الحكماوية ضد الوجود الفرنسي ، أدرجها القبطان سيكالدي في مذكرته تحت عنوان " في بلدان البارود" .

1-2 - قبيلة آيت حكم في مواجهة الغزو الاستعماري الفرنسي.

أ) – تعدّ معركة طويجين من أهم مظاهر رد فعل قبيلة آيت حكم ضد الاستعمار الفرنسي

تحمل فرنسا صورة سيئة عن القبائل التي تسكن الجبال الغير خاضعة للسلطة الفرنسية ، و لا تبدي أي استعداد للتواصل مع المستعمر الفرنسي ، إلا من خلال فوهة البنادق، ووصفهم بأبشع الصفات، و هو ما عبر عنه القبطان سيكالدي، بني حكم وزعير[6] كلهم ناهبون مروعون (Ceccaldit،1914،107)، تدعم هذه القبائل بنية تضاريسية وعرة شكلت عقبة أمام الجيوش الفرنسية، و شكلت دعامة مهمة لقبائل الأطلس، خاصة آيت حكم ، التي تتمركز جنوب منطقة زمور، في عمق جبال الأطلس بمحاذاة قبيلة زيان[7] ، بينما تدعم فرنسا بعض القبائل المتحالفة معها لمصالح شخصية ، تراقب عن كثب القبائل المقاومة للوجود الفرنسي ، كما أكد ذلك القبطان سيكالدي Capitaine Ceccaldit في معرض حديثة عن تربص آيت حكم بالحامية الفرنسية القريبة من القبيلة ، كقوله " أهالي القبائل المتحالفة تعلن هجوم آيت

[6] قبيلة ذات أصول عربية من عرب معقل، توجد غرب قبيلة آيث حكم

[7] قبيلة ذات أصول صنهاجية أمازيغية، توجد في جنوب قبيلة آيث حكم، عرفت بشراسة مقاومتها للمستعمر الفرنسي، خاصة في معركة الهري الخالدة.

حكم في الليلة القادمة "(Ceccaldit,111) ، لتبدأ المناوشات بين الطرفين في 12 شتنبر 1912م ، بتبادل إطلاق نار عنيف من طرف مقاومي آيت حكم على المخيم الفرنسي، و كانت عناصر آيت حكم هي المبادرة بإطلاق النار، ومما يدل على شراسة المواجهة وجود آثار الدماء و بقايا الرصاص المستعمل في المواجهة ، كانت آثار الدماء تشير إلى مرور المهاجمين في هروبهم ، أسقطوا عدة خراطيش من بندقية ريمنجتون Remington و وينشستر Winchster[8].

في التاسع من مارس[9]، عند الفجر، اتخذ الطابور اتجاه العدو (آيت حكم) كما يسرد القبطان سيكالدي على المسار الضيق، وتقطع وادي تانوبارت[10]، قرابة الساعة التاسعة صباحًا، دوي المدفع على هضبة تيداس، بصفة متباعدة، سرعان ما تتبع التفجيرات بعضها البعض دون انقطاع، من ارتفاع قريب من المخيم، نرى القذائف تنفجر في السماء الزرقاء، لذلك كان العدو (آيث حكم) قريبًا جدًا منا، ويجب أن يكون القتال قويا.

بعد الظهر، كما يسرد القبطان سيكالدي ، كان على الفرقة العسكرية أن تتغلب على المقاومة النشطة لعدد كبير جدًا من بني حكم ، مرتبة عبر طريقه ، ويحتل سلسلة من القمم شديدة الانحدار ، والتي كان من الضروري إزاحتها منها على التوالي ، تحت نيران دقيقة وشديدة للغاية ، كانت زراعة الأرض رائعة جدًا ، وكان على قواتنا بذل جهد مؤلم للغاية ، خسائر العدو كبيرة، من جانبنا، لدينا 4 قتلى وحوالي 20 جريحًا ، من بينهم 3 ضباط (من بينهم النقيب ديدييه والملازم فيرناندیز) ، وقعت هذه المعركة التي يتحدث عنها القبطان سيكالدي على مقربة من تيداس، حيث تكبدت الجيوش الفرنسية خسائر فادحة تمثلت في أربعة قتلى و أكثر من عشرين جريحا ، في مقدمتهم ثلاثة ضباط من بينهم DIDIER وFernandez (Voinot,1939,78) ، و من أهم النقط السوداء في التاريخ العسكري الفرنسي ، معركة طويجين بتاريخ 2 ماي 1912م ، و عن هذه المعركة يقول القبطان سيكالدي : إن معركة طويجين هي التي أظهر فيها بنو حكم كثيرا من الضراوة و الشجاعة إلى حد التعصب، قد أبرزت أيضا مرونتهم المثيرة للعجب (المُحيرة) وحسن استغلالهم للأرض ودقة تصويب رماتهم وحسهم التكتيكي الفائق"(الخديمي،2010،44).

شارك عتاد قوي من سلاح القوات الفرنسية في هذه المعركة، السرية الأولى والخامسة من كتيبة المحاربين الأفارقة والسرية الثالثة لرماة الجزائريين، قطعتان من مدفع قياس 75، قسم رشاشات الكتيبة، ومفرزة من القسم الثالث للقناصة الأفارقة الكوم[11] وسيارة الإسعاف، كان استعداد الجيش الفرنسي كبيرا، رغبة في الانتقام من اهانات آيت حكم المتواصلة، واستعمال ذريعة أن آيت حكم يتميزون بصفة النهب والوقاحة.

كان لدى الصف العسكري 125 بندقية، كان من المقرر وضع 115 منها في الطابور، عند مخرج الصف على الهضبة الشاسعة المغطاة بالمحاصيل، التي تهيمن عليها كتلة تيداس الوعرة، تنضم إلينا مجموعة من المشاة الودودين، وكلهم مسلحون بالبنادق، ويتبعهم كلاب السلوقي النحيف، ينوون في الواقع أن يشهدوا هزيمة أعدائهم (آيت حكم)، يوجد في هذه المجموعة من جميع الأعمار، شيوخ ذو لحى رمادية وشباب جدًا، حقيبتهم غير المنفصلة من الخراطيش في القفازات، والبندقية على الكتف، وكلابهم المثيرة للشفقة في الكعب، يبدون مثل الصيادين.

يروي القبطان سيكالدي أيضا من خلال هذا السهل (طويجين) ، الذي يبلغ طوله حوالي أربعة كيلومترات، " يلوح الشعير والقمح ، وهما طويلان جدًا وسميكان جدًا ، في الرياح الباردة في صباح الربيع المبهج هذا ، المليء بأغاني العصافير، ندخل هذه الحقول حيث تغطينا المحاصيل حتى الخصر ؛ الندى ، بكثرة ، يجعل المشي مزعجاً ، في المقدمة ، يستكشف الصيادون الأفارقة ، الأحمر والأزرق، و فرسان الكوم ، السلاح على أفخاذهم ، هرعت مجموعات جديدة من الفرسان والمشاة من الدواوير المتحالفة ، خيامهم بجانب المسار الذي نسير فيه ، للمشاركة أيضًا في مهرجان البارود"

سارع أحدهم بإبلاغ هؤلاء المحتالين من بني حكم، فجأة أطلقت القطعتان من عيار 75 نيرانهما على ارتفاع أربعة آلاف متر على هدف غير مرئي، علم ضابط المخابرات أن معسكرات العدو (آيت حكم) كانت مخبأة في واد عميق خلف ارتفاع تيداس، والقذائف التي تنفث الموت، هناك، بعيدة عن أعيننا، في حين أن صدى تلك الجبال شديدة الانحدار يردد بشكل مهيب انفجارات المدافع.

فجأة، ظهر جنود مشاة العدو في الارتفاع، من العباءة خلف القبة وعن يمينها، مجموعاتهم الصغيرة، المختبئة بشكل ملحوظ في الشجيرات، تزحف بالقرب من فرسان الكوم، واندلع قتال كثيف بالأسلحة النارية.

استعمل مقاومو آيت حكم بنادق من طراز Gras[12] ، يواصل العدو (آيت حكم) التسلل ، متحديا بجرأة مفاجئة القذائف الجيدة التصويب التي انفجرت فوق رأسهم ، المزيد والمزيد من المجموعات تخرج من وراء التلال ، وتخرج من خلال الوديان الضيقة ، اندلع تبادل إطلاق نار عنيف في الحرس الخلفي ، المطاردون الأفارقة الذين يطلقون النار على

[8] Remington و Winchster أنواع الأسلحة التي استعملتها قبائل آيت حكم (عبارة عن بنادق)
[9] معركة تيداس الأولى في 9 مارس 1912م، وردت هذه الإشارة في معلمة المغرب في مادة المعازيز لبوعبيد التركي، لكن المعركة خاضتها قبيلة آيت حكم وليست قبائل المعازيز.
[10] وادي يخترق قبائل آيت حكم (آيت علا في منطقتي بوملال ودخمو وآيت بوكيمال الى أن يلتقي بنهر ابي رقراق في منخفض المعازيز)

[11] الكوم goume فرقة خاصة من الجيش الفرنسي مكونة من عناصر من مستعمرات فرنسا في افريقيا جنوب الصحراء (خاصة من السنغال) و أغلبهم من الرماة المحترفين.
[12] نوع من البنادق التي استعملها مقاومو آيت حكم ، مصنع أرميس سانت إتيان1875 1884 - .

صهوة الخيول، و اشتباك فرقة فرانشيسكي مع مشاة العدو، الذين ينزلقون من خلال الشجيرات ، باستغلال أدنى طيات في الأرض ، و يقتربون بمكر ، بينما يحتل البعض منهم حرسنا الخلفي ، فإن القوات الأخرى التي تظهر على يميننا، توجه بالفعل نيرانًا كثيفة ، توضح هذه الرواية مدى تحكم و استغلال آيت حكم للمجال الطبيعي في مواجهة جيش الاحتلال .

بعد فترة وجيزة، انسحب الكوم وفرقة فريفيل (كتيبة إفريقية 50 و3)، يدرك العدو ذلك بسرعة كبيرة وكل جهده موجه ضدها، على الرغم من نيراننا الدقيقة ، تقدم جنود مشاة بني حكم ، وهم يزحفون عبر الأحراش الشائكة والصخور الرمادية ، على مسافة خمسمائة متر منا؛ عبثًا، على ارتفاع أربعمائة متر ، في منحنى غابة في الوادي الذي يخرج منه العدو ؛ تحت الرصاص، منذ ذلك الحين ، تفاقم النضال ، العدو يركز نيرانه على مجموعات ناقلات الضحايا، رجال جدد يسقطون ، مما صعب مهمة نقل الجرحى من الجيش الفرنسي ؛ مع مثل هذا العدو الهمجي ، إنه واجب مقدس كما يقول القبطان سيكالدي ، وبالتالي لا يمكن تنفيذ حركة السحب التي يتم تنفيذها في خطوات إلا ببطء عبر العدو الوادي ونصب كمينًا في الشعير على بعد أقل من مائتي متر منا، نحن ضائعون إذا نجح بني حكم في التغلب على جناحنا الأيمن.

استعاد بني حكم الأرض وأطلقوا النار علينا، الآن على بعد خمسين خطوة ، يظهر الفرسان فجأة، وأشجار الشعير الطويلة جدًا، وينزلون، ويرددون صراخهم الحربي، يمزقون حقنا بالرصاص، نحن نميزهم بوضوح، إنهم شبه عراة، وهوائهم شرس، والغضب ينعش أعينهم، لكن فرقة Franceschi كانت هناك، تندفع إلى الداخل مع رأس الحربة، تحت إطلاق النار من مسافة قريبة، زعيمها يسقط ، ضرب حتى الموت العريف باسيت، في هذه الحركة النشيطة أصيب الملازم ماسكارات بعيار ناري في الرأس، أطلقه زعيم عدو على مسافة عشرة أمتار بالكاد، أسقطه على الفور، خلال هذه العودة الهجومية نفسها، أصيب الرقيب روبرت بجروح في الذراع والصدر، وسطويك Stoique، ضابط الصف الشجاع يرفض ترك خط النار؛ يمكن للألم وحده أن يضع حدًا لطاقته.

لقد دفعت الكتيبة الفرنسية الثمن غالياً لمجدها، من بين أربعة رؤساء أقسام، كان ثلاثة منهم عاجزين عن القتال، بالإضافة إلى ذلك، قتل عريف، وأصيب رقيب وعريف بجروح بالغة الخطورة، تسعة من هؤلاء الضباط الشجعان أو الصيادين لم يردوا على المكالمة، وأصيب 14 آخرون، وبالتالي وصلت الخسائر إلى ربع القوة العاملة.

الرقيب أورينسان، من الفرقة الخامسة، لقي أيضًا مصرعه، على رأس رجاله، كما أصيب اثنان في المناوشات من الفوج الثالث بجروح قاتلة.

أثناء القتال، قتل ملازم نشيط من المخابرات في المحطة، حصانه تحته على يد جندي مشاة في كمين في الشعير، وتبادل صديقي معه عدة طلقات من البنادق، هذه المرة مرة أخرى، لم يتغلب بني حكم على الضابط الجريء.

وفي المقابل، الذي انتظره الجميع بفارغ الصبر، قدمت الكتيبة الشجاعة أدلة مدوية، حارب الضباط والصيادون ببسالة، ويوضح الجدول التالي بعض الإحصائيات الخاصة بمعركة طويجين 02 ماي 1912م:

عدد الجيش الفرنسي	عدد مقاومي آيث حكم	أسلحة مقاومي آيث حكم	أسلحة الجيش الفرنسي	قتلى الجيش الفرنسي
السرية 1-5 (280 فرد)	مشاة (مجموعات صغيرة)	بنادق من طراز Gras	قطعتان من مدفع قياس 175	العريف باسيت
سرية 3 رمات (190فرد)	فرسان (مجموعات صغيرة)	Remington	رشاشات بين 300 الى 1000	الملازم ماسكارات
مفرزة القناصة الأفارقة (55)		Winchster	125 بندقية	عريف فرنسي الرقيب أورينسان ملازم

حرب طويجين الصعبة، أظهر فيها بني حكم الكثير من الشجاعة المتعصبة، أظهرت أيضًا مهارتهم المدهشة في استخدام التضاريس، ومهاراتهم كرماة، وإحساسهم التكتيكي الذي لا يمكن إنكاره.

مثل جميع الأمازيغ (تم إجراء ملاحظات مماثلة في سياق جميع حملاتنا الاستعمارية)، لم يقاوموا حتى النهاية هجومًا أماميًا قويًا، مقترنًا بحركة على أجنحتهم، ولم يقاوموا حتى النهاية. وقد أبرزت هذه الحقيقة عدة معارك، بما في ذلك معركة 9 مارس[13].

وأضاف متحدثا عن مقاومة آيت حكم " **إن هؤلاء الجبليين الذين لا ينالهم تعب، متفوقون في استغلال الميدان مهما كانت صعوبته، إنهم يتميزون بتصميم وحشي، وبطاقة خارقة، وبمرونة كبيرة في العمل على الاقتراب من مؤخرة جيش متراجع ومن أجنحته. هنا فكل ثنية من الأرض مألوفة لهؤلاء المشاة الخارقين للعادة ولهؤلاء الفرسان الذين يتحركون بسرعة وسط الصخور وكيفما كانت المنحدرات، دون توقف ودون إمهال في حركة خيولهم الجامحة التي لا تعرف العياء بدورها**[14]"

وعن شجاعة المغاربة بقبائل آيت حكم خصوصا وزمور عموما، وإصرارهم على مواجهة الغزاة وتضحياتهم دفاعا عن بلادهم كتب يقول: **"إن أعداءنا المغاربة مخيفون، فهم مسلحون جيدا، والذخائر متوفرة عندهم، وشجاعتهم خارقة،**

[13] عن القبطان سيكالدي الذي عايش الأحداث (حرب طويجين) بتصرف

[14] ن،م،ن،ص

وهم يستفيدون من طبيعة بلادهم الصعبة في العموم، إنهم يواجهون قواتنا بمقاومة صلبة.. إن إصرارهم على القتال لا يتزعزع أمام كل فشل، فخلال كل معركة، يسقط الكثير من المحاربين تحت ضرباتنا وفي الغد تتجدد وتنتظم الحركات التي يأتي أفرادها من دواوير بعيدة، مستجيبين لنداءات زعماء الحرب (الجهاد) المتجددة باستمرار".

ب) - تنوعت معارك آيت حكم ضد المستعمر الفرنسي

والأمر نفسه ينسجم تمام الانسجام على معركة سيدي موسى يوم 8 يوليوز 1912 (Résidence générale par la mission scientifique du Maroc,1920,199)التي أسفرت عن قتيلين في فيلق العقيد GOUDEIN إذ تكبد فيها الجيش الفرنسي خسائر بشرية ومادية قوامها 17 قتيلا و28 جريحا، ولعل حجم الخسائر البشرية والمادية، وشدة المقاومة هي التي كانت وراء تأسيس معسكر تيداس[15] شهر نونبر سنة 1912 لتشديد الخناق على قبائل آيت حكم وتعزيز المعسكرات الأخرى التي أضحت على مرمى حجر من مقاومي زمور(عشاق،66).

وعرف شهر دجنبر مواجهات عنيفة، انطلاقا من 6 دجنبر بضواحي تيداس التي تكبد فيها الجيش الفرنسي 3 قتلى وأكثر من 8 جرحى (Voinot،79)، ومرورا بيوم 16 دجنبر بغابة التريوا شرق المعازيز والتي ارتكب فيها العقيد BLONDLAT مجزرة دموية في حق رجال المقاومة من آيت احكم بلغت 300 قتيل (Voinot،79).

ومما تجدر الاشارة اليه، أن تيداس عرفت معركتين الاولى في مارس 1912، والثانية في دجنبر 1912 والحقيقة أنها معركة واحدة بقيت مستمرة عشرة شهور خاضت فيها قبائل آيت حكم معارك الشرف والشهامة ضد الاحتلال.

بل إن سجلات الجيش الفرنسي حافلة بأسماء الضباط الفرنسيين الذين سقطوا غير بعيد من تيداس في المعازيز سنة 1914 م، في هذه المنطقة وحدها وعلى مدى ثلاث سنوات فقد الفرنسيون خيرة ضباطهم الذين دفنوا في مقابر أمثال الليوطنان "كيدار" الذي دفن بجانب ثمان عشر ضابطا وجنديا.

وفي مقبرة أخرى دفن جيش عرمرم من الضباط و العساكر الفرنسيين و السنيغاليين و الجزائريين و عددهم عشرون، وفي مقبرة ثالثة بتيداس نفسها كتب الفرنسيون أسماء قتلاهم على لوحة من رخام ، بينما لم يكتبوا أسماء القتلى في المقبرتين الأوليتين باستثناء إسم الضابط كيدار، في هذه المقبرة الثالثة نجد أسماء القبطان فارين الذي قتل في معركة 31 يناير1913م ، و هي معركة لا وجود لها في لائحة المعارك الأخرى، ذلك أن الفرنسيين لم يكونوا يذكرون كل المعارك و خصوصا تلك التي يفقدون الكثير من جنودهم ، مثلما أنهم يقتطعون من تواريخ المعارك حتى لا يعترفوا بأنهم خاضوا معارك في سنة 1914 مثلا بتلك المنطقة التي يتحدثون عن معركة فيها سنة 1911 . ففي تيداس دفنوا ضابطين طيارين سقطا بطائرتهما في وادي ابي رقراق يوم 6 أبريل 1914 (العلوي،1989-1994، 93-94).

وبالمثل دشن رجال مقاومة آيت حكم سنة 1913 سلسلة من المواجهات والاشتباكات أهمها على الإطلاق معركة 12 يناير وفيها تعرضت فرقة عسكرية فرنسية كانت متجهة من تيداس إلى المعازيز لهجوم جرح على إثره جندي فرنسي، ثم معركة 31 يناير وفيها هاجم ثوار آيت حكم قوات الاحتلال الفرنسي فأصيب من جرائها الضابط VARENNE بطلقات نارية قاتلة (Govion,2013,234). والأمر نفسه ينطبق على سنة 1914 م، إذ تعرضت الفيالق الفرنسية يوم 28 ماي 1914م بمنطقة الحرشة[16] جنوب تيداس لاختراقات رجال المقاومة خلفت العديد من الضحايا خاصة في صفوف المحاربين والقناصة الأفارقة، أما في يوم 6 يونيو 1914م وعقب إتلاف الخطوط الهاتفية بين تيداس وولماس تحركت الفيالق الفرنسية التي اشتبكت مع مجاهدي آيت احكم بمنطقة حرشة، كانت المعركة الأولى التي وقعت في حرشة في 28 مايو 1914، على الرغم من احتلال والماس قبل عام، الأكثر دموية بالنسبة للفرنسيين؛ حيث سقط العديد من الجنود في ساحة المعركة (Ait Haddou Mouloud,2017,23).

يذكر المفوض العام المقيم، خسائر الجيش الفرنسي في معركة الحرشة، ابتداءا من 28 ماي 1914 بداية المعارك المميتة في منطقة الحرشة (آيت علا)" الجنود المذكورين أدناه والذين تميزوا أثناء العمليات ضد زيان (حتى 20 يونيو 1914 ضمناً). سقطوا في الحرشة، 28 مايو 1914،" بوير ألبرت، أندريا يوجين، بالوكس، بلانشيت، فالي، جميعهم من الدرجة الثانية، الكتيبة الثالثة في إفريقيا؛ جولين الدرجة الثانية من السرب الخامس من القناصة الأفارقة قتل على يد العدو قرب الحرشة في 6 يونيو 1914." روجر الدرجة الثانية كتيبة أفريقيا أصيب بجروح خطيرة في 6 يونيو 1914 قرب الحرشة وتوفي متأثرا بجراحه. سيف بول فردينانند، ملازم، قسم الرشاشات، الأصليين (الساكنة الأصلية)؛ يوسف بن عبد الله بن عمور الفوج الثاني سرية 12 من الرماة الأصليين، من الدرجة الثانية، من السرب الأول من الخيالة الثالث؛ Guad Jean، الدرجة الثانية، السرية الرابعة والعشرون للأجنبي الثاني؛ مبارك بن عبد الله، الدرجة الثانية، السرية 6 للخيالة المغاربة في الرباط 28 يوليو 1914.

و قد أسفرت المواجهة عن مقتل العسكري ROYER من الفوج الإفريقي ، و إصابة العشرات من فرقة القناصة

[15] بموقع الثكنة العسكرية بتيداس، تأسست فيما بعد قرية تيداس الحالية، ونظمت بها ملحقة إدارية وعسكرية ارتبطت فيما بعد بالخميسات، واسم تيداس هذا لعله يرجع في أصله الى اسم ثيلاس، أي الظلمات ولقد عانى الفرنسيون الأمرين في الاحتفاظ به، وبقي مصدر الشغب مدة طويلة (قبائل زمور والحركة الوطنية، مذكرات سي احمد بوبية).

[16] منطقة الحرشة: منطقة جبلية توجد جنوب تيداس بها غابة كثيفة بين الحدود مع قبيلة زيان (**تستقر فيها فخذة آيث علا آيت حكم**).

الأفارقة، بجروح متفاوتة الخطورة، و بالمثل أصيب في ليلة 25 و 26 غشت 1919م بمركز حرشة طابور من الجنود الفرنسيين بجروح خطيرة إثر تنفيذ مهمة عسكرية غير مدروسة خارج مركز ولماس، و في السياق ذاته نظمت القيادة العسكرية الفرنسية يوم 1 فبراير 1920م في المناطق الخاضعة لنفوذها بين وادي بهت ووادي أكنور حملة عسكرية بمعية المحاربين الموالين من زمور و كروان و بني مكيلد من أجل تسليط سوط العقاب على الدواوير المنشقة و التي تزعج باستمرار ضواحي مركز ولماس ، و قد أسفرت العملية على انتزاع ما يفوق الآلاف من الماشية، و أكثر من 60 قتيلا .

خاتمة: وكنتيجة لهذه الدراسة، نؤكد على نهج فرنسا سياسة التهدئة في تعاملها مع قبيلة آيث حكم، تخللتها فصول من ملاحم الصراع العسكري، حيث بادرت قبيلة آيث حكم إلى مواجهة الجيش الفرنسي بكل ما تملكه من قوة، واستغلال لمجالها الطبيعي والبشري، وسطرت أقوى معركة في المنطقة، تمثلت في معركة الطويجين بتاريخ 02 ماي 1912م، كمثال عن ردود الفعل الحكماوية ضد الوجود الفرنسي، وبعد هذه الدراسة نلخص إلى النتائج والتوصيات التالية:

أولا النتائج

ـ نهجت فرنسا سياسة التهدئة في فترة المقيم العام الفرنسي ليوطي، لإخضاع مجموع التراب المغربي بعد توقيع معاهدة الحماية في 30 أبريل 1912م.

ـ تعد قبيلة آيث حكم من ضمن القبائل الصنهاجية الأمازيغية الجبلية التي بادرت إلى مواجهة المستعمر الفرنسي، كرد فعل على الغزو الاستعماري الذي تعرضت له أراضي القبيلة.

ـ استخدام المقاومة المغربية المسلحة لعنصر الطبيعة، لمواجهة المستعمر الفرنسي، خاصة في المناطق الجبلية التي اعتبرت حصنا طبيعيا أجاد المقاوم المغربي استخدامه في تماه كبير وانسجام منقطع النظير.

ثانيا التوصيات

اعتمادا على نتائج البحث، ندعو إلى الاهتمام بتسليط الضوء على نماذج من المقاومة المسلحة القبلية للاستعمار الأوربي، لاستخلاص العبر وترسيخ قيم المواطنة والحرية، ورد الاعتبار لمن قاوموا في سبيل أوطانهم لنيل الحرية والاستقلال.

قائمة المراجع

عشاق مولود، (2020). ***من تاريخ المقاومة والحركة الوطنية بمطقة زمور: مراجعات في ذاكرة محلية 1911 - 1957م***، مطبعة أصكوم – القنيطرة: المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير.

علال الخديمي، (2010). ***نظرات حول الاحتلال والمقاومة في السهول الساحلية والهضاب الوسطى 1907 - 1912***، ضمن تاريخ الاستعمار والمقاومة بالبادية المغربية خلال القرن العشرين، تنسيق المحفوظ أسمهر، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، الرباط: مطبعة المعارف الجديدة.

العلوي مصطفى، (1994). ***الحرب المغربية الفرنسية الاسبانية 1906ـ 1936 المناورات الاجنبية ضد السيادة المغربية***، (ط1). ج 4، الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة.

ليون كيوم اوغسطين، (2016). ***البربر المغاربة وتهدئة الأطلس المركزي (1912 - 1933)***، ترجمة وتقديم محمد لعروصي، (ط1). بني ملال: جامعة السلطان مولاي سليمان.

Capitaine Ceccaldit, (1914) ***Au pays de poudre***, (1911-1912) imprimerie-libraire militaire universelle l. Fournier, paris

Govion : (2013) ***kitab aayan elmaghrib lakca*** , Esquisse générale MOGHREBS de la génese a nos jour livre du grand du Maroc DAR ALAMAN.

Villes et tribu Tribus du Maroc : Rabat et sa Région tome Tom III Document et Renseignements publiés sous les auspices De la Résidence générale par la mission scientifique du Maroc Paris 1920s

Voinot (L) (1939) **Sur les traces glorieuses des pacificateurs du Maroc** : Editeurs militaires. Paris: Charles-Lavauzelle